جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

# الاحتراس في البلاغة العربية:
# دراسة في تحرير المصطلح

الباحثة

**عنود بنت أحمد حليس العنزي**

محاضر، قسم اللغة العربية، كلية التربية والآداب،
جامعة الحدود الشمالية، المملكة العربية السعودية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

الجزء الثاني عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

# الاحتراس في البلاغة العربية: دراسة في تحرير المصطلح

**عنود بنت أحمد حليس العنزي**

**محاضر، قسم اللغة العربية، كلية التربية والآداب، جامعة الحدود الشمالية، المملكة العربية السعودية**

**البريد الإلكتروني :** al-3noud2006@hotmail.com

## الملخص

هدفت الدراسة إلى محاولة تحرير المصطلح، وضبط معاقده في المقام الأول، وليس هذا بالعمل الهين؛ إذ يحتاج إلى جهد في قراءة التراث، وجهد آخر في التلخيص والاستنباط، وقد اتبعت في دراستي المنهج الوصفي والتطبيقي للوفاء بآليات البحث. واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في مقدمة وستة مباحث على النحو التالي: المبحث الأول: تحرير المصطلح في كتاب اللغة، والصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي. المبحث الثاني: موقع الاحتراس في الدرس البلاغي، المبحث الثالث: مصطلح الاحتراس حتى نهاية القرن الخامس الهجري. المبحث الرابع: مصطلح الاحتراس في مدرسة المتأخرين. المبحث الخامس: مصطلح الاحتراس في الدرس البلاغي المعاصر. المبحث السادس: صور الاحتراس والقيمة الوظيفية. وأبرز نتائج الدراسة: أن الاحتراس أعم من أن يحصر في صورة ضيقة من صور الإطناب، بل هو يدخل في أبواب كثيرة، معظمها يتصل بفن القول وصنعة البيان، وأغراض الشعر، من مدح ورثاء، وغزل ونسيب ووصف وتصوير. صنعة الشعر تقتضى الاحتراس في بناء القصيدة وطريقة تشكيلها ومنهج التخلص والخروج والقران بين الأبيات حتى تكون جسداً تاماً، وبنياناً محكماً، ونسجاً واحداً. الاحتراس باباً فاعلاً من أبواب القول، وصورة حقيقية من صور الإبداع تجمع بين أصول النقد وصناعة البيان. الاحتراس يتقاطع مع كثير من فنون البلاغة، كالإبداع، والاستطراد، والاستقصاء، وغير ذلك مما يدركه المشتغلون في العلم. أن الاحتراس لا يكون في الإطناب فقط، بل يكون في الإيجاز كذلك، لأن المعنى كما يكون في الإطناب يكون في الإيجاز من غير فرق.

**الكلمات المفتاحية** : الاحتراس، الإطناب، البلاغة العربية، تحرير المصطلح.

# Caution in Arabic Rhetoric: A Study in Editing the Term

**Anoud Ahmad Alanazi**
Lecturer, Department of Arabic Language, College of Education and Arts, Northern Border University, KSA.
Email: al-3noud2006@hotmail.com

## Abstract

**The study aimed to try to liberate the term and control its complexes in the first place, and this is not an easy task. It requires an effort in reading heritage, and another effort in summarizing and deduction, and in my study I followed the descriptive and applied approach to fulfill the research mechanisms. The nature of the study necessitated that it be in an introduction and six chapters as follows: The first topic: editing the term in the language book, and the link between linguistic and idiomatic meaning. The second topic: the location of guarding in the rhetorical lesson, the third topic: the term guarding until the end of the fifth century AH. The fourth topic: the term of precaution in the school of the latecomers. In the current rhetorical lesson, the fifth topic is the term "guarding." The sixth topic: images of caution and functional value. The most prominent result of the study is that caution is more general than being confined to a narrow form of exaggeration. Rather, it enters into many sections, most of which are related to the art of speech, the craft of statement, and the purposes of poetry, such as praise and lament, flirtation, kinship, description, and depiction. The craftsmanship of poetry requires caution in the construction of the poem, the method of its formation, the method of elimination and the exodus, and the Qur'an between the verses so that it is a complete body, a tight structure, and one weave. Precaution is an effective way of saying and a true form of creativity that combines the origins of criticism and the statement industry. Guarding intersects with many of the arts of rhetoric, such as creativity, digression, investigation, and other things that those engaged in science realize. That caution is not only an exaggeration but in brevity as well, because the meaning, as it is an exaggeration, is in brevity without a difference.**

**Keywords: Caution, Overstatement, Arabic Rhetoric, Editing the Term.**

بسم الله الرحمن الرحيم

## مُقدِّمة

الحمد لله الذي امتن على عباده بنعمة البيان عقب نعمة الخلق، فقال- عز من قائل-: **(خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)**[١]

وأثنى على عباده العلماء، ورفع أقدارهم، وقرن شهادتهم بشهادته فقال في محكم التنزيل: **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)**[٢]

وقال: **(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ)** [٣]

والصلاة السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أفصح الخلق لساناً، وأعذبهم منطقاً، وأصوبهم بياناً، وأبينهم بلاغاً، خصه الله تعالى بالبليغ من الكلم، والبديع من الحكم- فتمدح صلى الله عليه وسلم متحدثا بالنعمة ومظهراً لآثار الفضل- فقال: ((أنا أفصح العرب بيد أني من قريش))، ((وأوتيت جوامع الكلم)).

ورضى الله عن السادة الأصحاب الذين شهد لهم التنزيل بالسبق وزكاهم في صريح المحكم من الآية **(أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)**[٤] ومن سار على دربهم بإحسان إلى يوم الدين.

من نافلة القول أن تشير الباحثة إلى فضيلة علم البلاغة، الذي هو ثمرة علوم العربية وأزكاها، وبسببه يتلمس الإعجاز، وتلوح الدلائل والأسرار، وقد

---

(١) سورة الرحمن الآية: (٣، ٤) .
(٢) سورة فاطر الآية: (٢٨) .
(٣) سورة آل عمران الآية: (١٨) .
(٤) سورة البينة الآية (٧) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ضرب كل عالم من الصناعة بسهم حتى كاد البناء أن يكتمل ولما يكتمل بعد وتلك سنة الله تعالى في العلوم **(وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)**[١]

والمصطلحات البلاغية، في حاجة إلى ضبط كثير من معاقدها، وخاصة بعد أن منيت بتقسيمات وتفريعات كثيرة، قد تطغى على جمالية الفن أحياناً، كما أنها ترهق البحث والباحثين في كثير من الأحيان حتى يلاقى العنت والمشقة، فأولى المهمات في هذه الصناعة ضبط المصطلحات، وتحريرها من الاضطراب والتداخل.

## مشكلة الدراسة:

فكان التفكير في هذه الدراسة التي تعنى في المقام الأول بتحرير مصطلح الاحتراس في التراث البلاغي عبر أطواره المختلفة.

ومصطلح الاحتراس- خاصة- في حاجة إلى هذه الدراسة، إذ تجد الباحثة نفسها في حيرة من أمره حين يطالع ما كتبه البلاغيون، فيلفت نظره الاضطراب والتداخل مع مصطلحات أخرى، تشترك معه في نفس القيمة.

والوظيفة، والغاية والهدف، كالتكميل، والتتميم، والإيغال، والتذييل، والاعتراض وغير ذلك، وقد لا يخفى عن وعي دارسي البلاغة تداخل هذه المصطلحات في التراث البلاغي قديماً وحديثاً، وتداخل الشواهد كذلك، فما يستشهد به في الاعتراض أو التتميم يستشهد به في الاحتراس عند البعض، كما هو ملموس في مؤلفات القوم.

والهدف الذي تؤمله هذه الدراسة، هو محاولة تحرير المصطلح، وضبط معاقده في المقام الأول، وليس هذا بالعمل الهين؛ إذ يحتاج إلى جهد في قراءة

---

(١) سورة يوسف الآية (٧٦) .

التراث، وجهد آخر في التلخيص والاستنباط، وقد اتبعت في دراستي المـــنهج الوصفي والتطبيقي للوفاء بآليات البحث.

**خطة البحث:**

**واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في مقدمة وستة مباحث على النحو التالي:**

**المبحث الأول:** تحرير المصطلح في كتاب اللغة، والصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي.

**المبحث الثاني:** موقع الاحتراس في الدرس البلاغي

**المبحث الثالث:** مصطلح الاحتراس حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

**المبحث الرابع:** مصطلح الاحتراس في مدرسة المتأخرين.

**المبحث الخامس:** مصطلح الاحتراس في الدرس البلاغي المعاصر.

**المبحث السادس:** صور الاحتراس والقيمة الوظيفية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

## المبحث الأول: المعنى اللغوي للاحتراس

### المعنى اللغوي للاحتراس

للاحتراس في معاجم اللغة عدة معان مردها- في الغالب- إلى جهة واحدة هي: الحفظ والملاحظة والعناية والتحرز.

جاء في اللسان(١)

حرس الشيء يحرسه ويحرسه حرساً: حفظه: وهم الحراس والحرس والأحراس.

واحترس منه: تحرز.

وتحرست من فلان واحترست منه بمعنى، أي تحفظت منه....

والحرس: حرس السلطان، وهم الحراس.....

والحرس وهم خدم السلطان المرتبون لحفظه وحراسته.....

والبناء الأحرس: هو القديم العادي الذي أتى عليه الحرس، وهو الدهر.

والمعنى اللغوي للمادة واضح كما ذكر، ولكن المشكل في تفسير المادة، ما أورده أصحاب المعاجم، من أن الحرس يستخدم ويراد به معنى السرقة، ومن ذلك ما أورده صاحب اللسان من الأثر، قال(٢): وفي الحديث: "أن غلمة لحاطب بن أبي بلتعة احترسوا ناقة لرجل فانتحروها".

---

(١) مادة "ح ر س" ومجلد ٢ دار الحديث.

(٢) السابق نفسه .

ويقال للذي يسرق الغنم محترس، وللشاة التي تسرق: حريسة، وهو منقول عن أبي عبيدة، كما أورده الراغب الأصفهاني، قال[١]: قال أبو عبيدة الحريسة هي المحروسة، وقال الحريسة المسروقة، يقال: حرس يحرس حرساً، وقدر أن ذلك لفظ قد تصور من لفظ الحريسة، لأنه جاء عن العرب في معنى السرقة.

والمفهوم من كلام الراغب على هذا الوجه، أنه من الأضداد؛ إذ يطلق على المعنى وضده.

وأنشدوا [٢]في المعنى الأول قول امرئ القيس:

**تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً على حراصاً لو يسرون مقتلى**

**ومحترس من مثله وهو حارس فواجبا من حارس هو محترس**

وفي المعنى الآخر، أنشدوا[٣] قول الشاعر:

وعده الزمخشري- رحمه الله- من المجاز، على طريقة الاستعارة التهكمية، وإلى ذلك أشار بقوله[٤]:

ومن المجاز: فلان حارس من الحراس أي سارق، وهو مما جاء على طريق التهكم والتعكيس، ولأنهم وجدوا الحراس فيهم السرقة.

---

(١) المفردات مادة حرس. ضبط وتحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.
(٢) أساس البلاغة مادة "حرس" دار الفكر ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
(٣) السابق نفسه .
(٤) السابق نفسه ص ١٢١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والاحتراس بهذا المعنى اللغوي لا يبعد عن المعنى الذي قصده البلاغيون اصطلاحاً؛ فالصلة بينهما وثيقة، تبدوا لأدنى نظر؛ إذ عرفه علماء البلاغة بقولهم[١]: ((هو أن يأتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، أي يؤتى بشيء يدفع ذلك الإيهام)).

فكأن الاحتراس يحفظ المعنى من مداخل الخلل أو الوهم، فالمتكلم يحترس للمعنى الذي قصده في الشعر أو النثر، ومقامه على التحرز والحيطة.

وسبق الباحثة ما ألمع به الدكتور/ فضل حسن عباس في قوله[٢]: ((والحق أن هناك صلة وثيقة بين المعنى الاصطلاحي الذي يقصده علماء البلاغة وبين المعنى اللغوي، فإذا كانت مادة الاحتراس تدل على المحافظة، فإن ما نقصده هنا كذلك، فالاحتراس: المحافظة على المعنى من كل ما يفسده ويغيره، وهذا ما ترشد إليه عبارة القوم)).

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٥- ٢٦ ت إبراهيم الإبيارى- دار الريان للتراث.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني ص ٤٩٥- دار الفرقان. الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م- ويقصد بقوله "عبارة القوم" تعريف البلاغيين للاحتراس".

## المبحث الثاني: موقع الاحتراس في الدرس البلاغي

### موقع الاحتراس في الدرس البلاغي

يقع الاحتراس في علم المعاني الذي عناه السكاكي[١]: "بتتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره".

وكون الاحتراس يقع هذا الموقع فيه دلالة على أنه من صميم البحث البلاغي، وأداة فاعلة في خيال المبدع أو الشاعر لا يتأتى له الغفلة عنها حتى لا يدخل معناه مغمز أو مطعن، فهو من جوهر البلاغة ومقتضيات الأحوال، التي يتوخاها البلغاء في الإبانة عن المعاني طبعاً لا تكلفاً.

وقيده بالتحديد في باب الإطناب، وهو[٢]: "أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد" وضده الإيجاز، والمساواة واسطة بينهما، كما عليه أرباب الصناعة.

وللعرب تمدح بالنقيضين، وأنشدوا في وصف البلغاء[٣]:

**يرمون بالخطب الطوال، وتارة وحى الملاحظ، خيفة الرقباء**

ولكل منها مقامات ومقتضيات، وأحوال واعتبارات، أرشد إليها القوم "فما صادف من ذلك موقعه حمد وإلا ذم، وسمى الإيجاز إذ ذاك: عيا وتقصيراً، والإطناب: إكثار وتطويلاً[١]

---

(١) مفتاح العلوم ١٦١، ضبط وتعليق/ نعيم زرزور- دار الكتب العلمية- الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٤٧، وقيد ضياء الدين بن الأثير الزيادة بالفائدة، حتى يميزه عن التطويل، ينظر المثل السائر حـ٢، ص ٢٨٠ تعليق الحوفى، وطبانة، نهضة مصر.

(٣) نسبة الجاحظ في البيان والتبين إلى أبي داود بن جرير، ينظر جـ ١، ص ٤٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

واستظهر الجاحظ- رحمه الله- في أسلوب القرآن أن "الله تبارك وتعالى، إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم، جعله مبسوطاً وزاد في الكلام(٢)

كما نبه على مقامات كل من الإيجاز والإطناب، فقال: "وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز.(٣)

ورمق أبو هلال العسكري هذه المعاني فلخصها قائلاً: "والقول القصد أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام، وكل نوع منه: ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ(٤)والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة(٥)ولما كان مناط كلام العرب على الوحي والإشارة والإيجاز(٦)، لفت العسكري في كلمة نادرة إلى أن الإطناب إذا لم يكن منه بد إيجاز(٧) والاحتراس يدرس في المعاني على أنه صورة من

---

(١) مفتاح العلوم ص ٢٧٧.
(٢) الحيوان جـ١، ٩٤ ت/ عبد السلام هارون- دار الجيل ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
(٣) الحيوان جـ١، ص ٩٣.
(٤) كتاب الصناعتين ص ٢٠٩، ت د/ قميحة دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
(٥) السابق نفسه .
(٦) ينظر قواعد الشعر لثعلب ص ٦٤ ت د/ خفاجي، دار الجيل، ط١، ٢٠٠٥م/ ١٤٢٦هـ .
- وألمع أبو جعفر النحاس ت ٣٣٨ هـ، إلى شيء من ذلك، حين قال: "وهكذا مذاهب العرب وعادتهم في العبارة، يميلون إلى أن تكون الألفاظ أقل من المعاني في المقدار والكثرة" صناعة الكتاب ص٢٠٢ ت د/ بدر أحمد ضيف ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م دار العلوم العربية.
(٧) الصناعتين ص ٢١١، وأكثر كلام العسكري راجع إلى كلام الجاحظ في الباب.

صور الإطناب، إذ الإطناب يرد في الكلام على أنحاء مختلفة لأغراض يقصدها البلغاء، وأوضحها العلماء في مصنفاتهم متابعين صاحب التلخيص في ذكر الأقسام.

كالإيضاح بعد الإبهام، والتوشيع[١]، وذكر الخاص بعد العام، والتكرير، والإيغال[٢]، والتذليل[٣] والتكميل[٤]، ويسمى الاحتراس أيضاً، والتتميم[٥]، والاعتراض[٦]

وقد يدرس الاحتراس أيضاً في علم البديع، ووجه دراسته في البديع، أنه يكسب الكلام بهاء، ويكسوه طلاوة، فيكون من محسنات البيان.

يقول الشيخ حسين المرصفى، بعد أن ذكر من صور الإطناب: التخصيص بعد التعميم، والتكرير: "ومنه أشياء خصت بأسماء: كالإيغال والتتميم، والتذليل والتكميل، يأتي بيانها في فن البديع"[٧]

وجرى أصحاب البديعيات على ذكر المصطلح ضمن فنون البديع تصريحاً أو تورية، كما سيتضح قريباً في الدراسة بإذن الله تعالى.

---

(١) هو أن يؤتي في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين، ثانيهما معطوف على الأول. التعريفات ص ٩٧.

(٢) هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، لزيادة المبالغة. التعريفات ص ٥٩، وهذا التعريف يوهم أنه مختص بالشعر، والصواب- كما أشار القزويني، أنه لا يختص بالنظم، ينظر: الإيضاح بالبغية حـ٢، ١٢٢ مكتبة الآداب ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٣) هو تعقيب جملة مجملة مشتملة على معناها للتوكيد، التعريفات ص ٧٨.

(٤) سبق تعريفه .

(٥) أن يأتي في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة لنكتة، كالمبالغة، التعريفات ص ٧٢.

(٦) ويسمى الحشو -أيضاً- أن يأتي في أثناء كلام، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لنكته سوى دفع الإيهام، التعريفات ص ٤٧.

(٧) الوسيلة الأدبية ت.د/ عبد العزيز الدسوقي جـ٢، ص ٨٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م. وهو وإن لم ينص على مصطلح الاحتراس هنا، إلا أنه صرح به في فنون البديع التي درسها. ينظر الكتاب ص ١٩٠- ١٩١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

## المبحث الثالث

## المصطلح في تراث المتقدمين حتى نهاية القرن الخامس الهجري

لعل أول إشارة وردت لمصطلح الاحتراس، ما أورده الجاحظ (٢٥٥هـ) وقد ذكر أن العرب: "يذكرون الكلام الموزون ويمدحون به، ويفضلون إصابة المقادير، ويذمون الخروج من التعديل"(١)

وأورد قول طرفة في المقدار وإصابته:

**فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى**

ثم علق عليه بقوله: "طلب الغيث على قدر الحاجة، لأن الفاضل ضار(٢)

ونقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هديه في الدعاء بالسقيا، "اللهم اسقنا سقياً نافعاً".

وقوله صلى الله عليه وسلم: اللهم حوالينا ولا علينا" لأن المطر ربما جاء في غير إبان الزراعات، وربما جاء والتمر في الجرن، والطعام في البيادر، وربما كان في الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة(٣)

وواضح مما ذكره الجاحظ تحت إصابة المقادير ومثل به، هو عينه ما أسماه البلاغيون بالتكميل أو الاحتراس فيما بعد، ولا يخلو كتاب من كتب

البلاغة من قول طرفه كعلم في الباب على المعنى المراد"(١)

---

(١) البيان والتبين حـ١، ٢٢٧.
(٢) السابق نفسه ص ٢٢٨.
(٣) السابق نفسه .

وابن المعتز (ت ٢٩٩هـ) ذكر من محاسن الكلام الاعتراض، قال[٢]:

"ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد".

وهذا التعريف يختلف عن تعريف المتأخرين للاعتراض بعض الشيء، إذ جعل ابن المعتز سبيل الاعتراض تتميم المعنى الناقص، وهو بذلك يلتبس بالتتميم، ولهذا قال ابن حجة الحموى[٣]:

"التتميم... وسماه ابن المعتز: اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه".

وقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) لم يذكر مصطلح الاعتراض، وإنما ذكر التتميم، وجعله من نعوت المعاني، وعرفه بقوله[٤]: "أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به".

ويلاحظ أن الأمثلة التي ذكرها في الباب لا تخرج عن أمثلة الاحتراس، بل هي من صميم شواهد الاحتراس عن متأخري البلاغيين، فمما مثل به قول نافع الغنوى:

---

(١) ينظر مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي- محمد عزام ص ٢١، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٩٥م.
ـ والبلاغة عند الجاحظ د/أحمد مطلوب ص ٨٣، منشورات وزارة الثقافة، العراق ١٩٨٣م، وينظر معجم البلاغة العربية د/ بدوي طبانة ص ٥٩٦، دار ابن حزم ط٤، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
(٢) البديع ص ١٥٤ ت د/ خفاجي، دار الجبل، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
(٣) خزانة الأدب ص ٢٧١، شرح عصام شعيتو ط١، ١٩٨٧م- دار الهلال ،بيروت.
(٤) نقد الشعر ص ١٤٤ ت د/ محمد خفاجي، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

**رجال إذا لم يقبل الحق منهم ويعطوه عاذوا بالسيوف القواطع**

**وقول عمير التغلبى:**

**بها نلنا القرائب من سوانا وأحرزنا القرائب أن تنالا**

والعلم في الباب قوله طرفة:

**فسقى دياك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى**

وتحليله للشواهد التي أوردها، يفهم منه أنه أورد التتميم بمعنى التكميل الذي يعنى الاحتراس أيضاً، وقد يدخل فيه الاعتراض كذلك، فيعلق على بيت الغنوى بقوله(١):

"فما تمت جودة المعنى إلا بقوله: يعطوه وإلا كان المعنى منقوص الصحة".

وعلق على بيت التغلبى بقوله(٢):

"والذي أكمل جودة هذا البيت قوله: "وأحرزنا القرائب أن تنالا"، مع أنهم نالوا القرائب من سواهم".

وعلى قول طرفة بقوله(٣):

---

**(١) نقد الشعر ص ١٤٤ ت د/ محمد خفاجي.**

**(٢) السابق نفسه .**

**(٣) السابق نفسه، والذي عيب عليه أنه لم يحترس لمظنة الهلاك، إذ دعا بتتابع المطر، والعرب كما تستسقى طلباً للخير والنفع، تحترس في الوقت نفسه من الإهلاك والإفساد، وقيل: طلب لها السلامة أولاً، فأغناه ذلك عن الاحتراس، وهو رأي وجيه، وعليه قوله تعالى: (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) (سورة نوح ١١) لأن المرسل هو الله تعالى، والسياق سياق وعد بالرحمة والبشرى.**

"غير مفسدها" إتمام لجودة ما قاله، لأنه لو لم يقل غير مفسدها لعيب كما عيب ذو الرمة، في قوله:

**ألا يا أسلمى يا دار مى علـــى البلـــى ولا زال منهلاً بجرعائك القطـــر"**

وذكر الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ) في فصل عقده لنقد الشعر، الإتمام قال[١]: الإتمام مثل قول طرفة:

**فســـقى ديـــارك غيـــر مفســـدها صـــوب الربيـــع وديمـــة تهمـــى**

ولم يذكر له تعريفاً، وإنما اكتفى بتحديد موضع الشاهد في الشعر، بقوله "غير مفسدها" كما ذكر "الاعتراض[٢]، ومثل له بقول النابغة الجعدي:

**ألا زعمـــت بنـــو ســـعد بـــأني وقـــد كـــذبوا كبيـــر الســـن فـــانى**

ونص على محل الاعتراض وهو قوله "وقد كذبوا" ومما ذكره- وهو قريب من الباب- الحشو، إلا أن الحشو عنده، لا يرد إلا لصحة الوزن، قال[٣]:

"الحشو" أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه إلا لصحة الوزن".

ومثل له بقول المؤمل:

---

**(١) مفاتيح العلوم ت ثان فلوتن تقديم د/ محمد حسن عبد العزيز ص ٩٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٤م.**

**(٢) السابق ص ٩٥، ورواية ابن المعتز "ألا كذبوا".**

**(٣) السابق ص ٩٧، على أن المتأخرين جعلوا الحشو على ضربين: مفيد، وما يرد لصحة الوزن.**

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

**فليسنى كنت أعمى غيــر ذي بصــر وأنه لم يكن ما كان مــن نظــري**

وهو قوله: "غير ذي بصر".

بينما الحشو عند ابن وكيع التنيسي (ت ٣٩٣هـ)، يحسن إذا كان مفيداً كقول ابن المعتز في وصف الخيل:

**وخيل طواها القــود حتــى كأنهــا أنا بيب سمر من قنا الخــط ذبــل**

**صببنا عليها- ظــالمين- ســياطناً فطارت بها أيــد ســراع وأرجــل**

"فقوله: "ظالمين" حشو مليح في لفظ مفيد[١]. وهو من شواهد الاحتراس في كتب البلاغة عند غيره.

ومن أمثلة الحشو غير المفيد، قول أبي العيال الهذلي[٢] في الرثاء:

**ذكــــرت أخــــي فعــــاودني صــــداع الــــرأس والوصــــب**

"فالصداع في الرأس" حشو فارغ[٣].

ولكن الذي يلفت النظر قول ابن وكيع في أثناء شرحه للباب" وأحســن من هذا كله ما تقدم ذكره في عيون الوحش لامرئ القيس[٤]،" ومثله له:

---

**(١) المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ت/ محمد الداية ص ٧٦، دار قتيبة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، دمشق.**

**(٢) شاعر مخضرم.**

**(٣) المنصف ص ٧٧.**

**(٤) المنصف ص ٧٦، وعنى قول امرئ القــيس المشــهور: كــأن عيــون الــوحش حــول خبائناوأرحلنا الجزع الذي لم يثقب**

**جمعـــت رد ينيـــاً [١] كـــأن ســـنانه سنا لهـــب لـــم يتصـــل بـــدخان**

وهذا من النحو الذي يزيد فيه الشاعر من كلامه ما هو من تمامه[٢].

وهو من شواهد الإيغال[٣]، وهو بهذا يلتبس بالتكميل الذي هو الاحتراس عند أكثر البلاعيين[٤].

وابن جنى (ت٣٩٢هـ) يتحدث عن الاعتراض، ويذكر صوره التي يرد عليها، وورود في القرآن الكريم والشعر ومنثور الكلام، وأن العرب أوردوه لغرض التأكيد، وهو كثير حسن في شعر العرب، ودال على فصاحة المتكلم، وقوة نفسه وامتداد نفسه[٥]

وعند أبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) التتميم والتكميل شيء واحد، إذ عقد الفصل التاسع عشر من الباب التاسع في التتميم والتكميل، قال: "وهو أن توفى المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تقمامه، إلا تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره[٦].

---

(١) الرديني: الرمح، نسبة إلى امرأة تسمى ردينة، مختار الصحاح، مادة "ر د ن".

(٢) المنصف ص ٧٧.

(٣) وفائدته المبالغة في المعنى.

(٤) والحقيقة أن تعريف الإيغال في البلاغي لا يعد عن التكميل، وخاصة من ناحية القيمة والوظيفة، كما سيتضح بعد.

(٥) الخصائص حـ١، ص ٣٣٦، ٣٤٢ ت/ محمد علي النجار، ط٤، ١٩٩٩م الهيئة العامة للكتاب، والإمام الزمخشري (٥٣٨ه) ، يجعل الاعتراض للتقرير في موقعه .ينظر الكشاف حـ١، ص ٢٦١ وما بعدها، تعليقاً على موقع جملة (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا) من سورة البقرة من الآية (٢٥) والكشاف طبعة دار الفكر.

(٦) الصناعتين ص ٤٣٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهو قريب من تعريف قدامه إلا أنه جعل التتميم والتكميل مترادفين(١).

والشواهد التي أوردها العسكري يصح الاستشهاد بها في الاحتراس والاعتراض، والحشو، والإيغال؛ إذ ذكر قول الخنساء:

**وإن صخرا لهم الهداة به كأنه علم في رأسه نار**

"فقولها: "في رأسه نار" تتميم عجيب(٢).

وهو في شواهد الإيغال أيضاً عند غيره.

قال أبو هلال- بعدما أورد شواهد الإيغال-: "ويدخل أكثر هذا الباب في باب التتميم، وإنما يسمى إيغالاً إذا وقع في الفواصل والمقاطع(٣).

ومن هنا ندرك أن التتميم والتكميل والإيغال، شيء واحد لوظيفة واحدة، والفروق ليست جوهرية في حقيقة الأمر عند التأمل، وما ذكر من فروق لا يثبت أمام المنهج القيمي والوظيفي في التذوق والتطبيق.

وللقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٦٦هـ) إلماعة تتصل بالتتميم، وإن كانت بطريق الإيماء والوحي والإشارة، إلا أننا نستأنس بها في التاريخ للاصطلاح الذي البحث بصدده، فقد عد قول عدى بن الرقاع- في صفة العيون-:

---

**(١) ينظر: قدامه بن جعفر والنقد الأدبي د/ طبانة ص ٢٦٩ طبعة ثالثة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م- الأنجلو المصرية.**

**(٢) الصناعتين ص ٤٣٦.**

**(٣) السابق ص ٤٢٤.**

**وسنان أيقظه النعاس فرنقت في عنيه سنة وليس بنائم**[١]

إثر قوله في البيت قبله:

**وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم**[٢]

من تتميم الوصف[٣] وقد "زاد به على كل من تقدم، وسبق بفضله جميع من تأخر[٤] وكان الرجل في سياق حديثه عن الحشو في الشعر[٥]. كما جمع الآمدي (ت٣٧٠هـ) عن شيوخ العلم بالشعر "أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء، وهي: جودة الآلة، وإصابة الغرض المقصود، وصحة التأليف، والانتهاء إلى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها[٦].

وإصابة الغرض، والانتهاء إلى نهاية الصنعة، أمران يتصلان بالتتميم والتكميل والإيغال والاعتراض، وكلها من محاسن الشعر، ومن أسباب جودة معناه.

---

(١) خالطهما النوم.

(٢) جاسم: قرية بالشام، والحور: أن تسود العيون كلها مثل أعين الظباء والبقر، والجؤذر: ولد البقرة.

(٣) الوساطة ص ٣٠ ت/ هاشم الشاذلي طبعة الحلبي.

(٤) السابق نفسه .

(٥) وقصد بالحشو- كما يفهم من كلامه- ما يؤتى به للنظم بغية إقامة الوزن، ولو حذف لا ستغنى عنه .

(٦) الموازنة ص ٢٨٢- ٢٨٣ ت/ محمد محي الدين عبد الحميد- المكتبة العلمية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والباقلاني (ت ٤٠٣هـ) يذهب مذهب العسكري؛ إذ يقرن بين التتميم والتكميل في سلك واحد، فهما مترادفان، قال(١):

"ومن البديع التكميل والتتميم، كقول نافع بن خليفة:

**رجال إذا لم يقبل الحق منهم ويعطوه عاذوا بالسيوف القواطع**

وإنما تم جودة المعنى بقوله: ويعطوه" ثم يستشهد للباب بآية لقمان(٢):

**(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**. وهو إن لم يحدد محل التتميم في الآية الكريمة، إلا أنه مفهوم أنه يعنى به تذييل الآية الكريمة.

يقول تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**، والاستشهاد بالآية الكريمة، يدفع ما عليه المتأخرون حين قيدوا التتميم بقولهم "فضلة"، إذ التذييل لا يكون إلا جملة كما هو معلوم من كلام القوم.

ويتحدث ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) عن كمال المعنى، ولعله، استخدم التكميل بمعنى التتميم، فكأن التتميم من أسباب كمال المعنى، يقول(٣):

"وأما كمال المعنى فهو: أن تستوفى الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل جودته".

---

(١) إعجاز القرآن ت الأستاذ/ أبو بكر عبد الرازق ص ٧٣ مكتبة مصر.
(٢) آية: ٣٤.
(٣) سر الفصاحة ص ٢٧١- دار الكتب العلمية- ط١- ١٩٨٢م/ ١٤٠٢هـ .

وتعريفه لا يبعد عن تعريف قدامه للتتميم، وكذلك ما استشهد بـــه ابـــن سنان، إذ ذكر قول نافع الغنوي:

**رجال إذا لم يقبل الحـــق مـــنهم ويعطوه عاذوا بالســـيوف القواضـــب**

وعلق عليه بقوله(١)

"فتتمم المعنى بقوله- ويعطوه- لأنه لو اقتصر على قوله- إذا لم يقبـــل الحق منهم عاذوا بالسيوف- كان المعنى ناقصاً.

لكنه ذكر أيضاً ما أسماه بالتحرز مما يوجب الطعن(٢).

ولعله عنى به الاحتراس، إذ عرفه بقوله(٣): "وأما التحرز مما يوجـــب الطعن فأن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن، فيأتي مما يتحرز به من ذلك الطعن".

كما أورد في الباب شاهدين هما عمدة في باب الاحتراس، قول طرفـــة في سقيا الديار، وابن المعتز في صفة الخيل، علق على الأول بقوله(٤)

"فلو لم يقل- غير مفسدها- لظن به أنه يريد توالى المطر عليها، وفـــي ذلك فساد للديار ومحو لرسومها".

وعلى الثاني: بقوله: "فإنه- لو لم يقل ظالمين- لكان للمعترض عليه أن يقول: إنما ضربت هذه الخيل لبطئها(١).

---

(١) سر الفصاحة ص ٢٧١.
(٢) السابق ص ٢٧٣.
(٣) السابق نفسه .
(٤) السابق نفسه ص ٢٧٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ووظيفة الاحتراس هي التحرز مما يوجب الطعن، والتحرز بمعنى التوقي كما في معاجم اللغة.

وأما ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) فقد جعل الاحتراس ضرباً من التتميم، ويسميه التمام أيضاً، قال في باب التتميم[٢]:

"وهو التمام أيضاً، وبعضهم يسمى ضرباً منه احتراساً واحتياطاً".

وقال في تعريفه: "أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده وأتى به، إما مبالغة، وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير".

وأورد شواهد كثيرة قد تدخل في أبواب كثيرة كالاعتراض والإيغال والتكميل، فالتتميم والاحتراس عنده وجهان لعملة واحدة، ولا يمكن الفصل بينهما.

وإذ قد ذكر ورود التتميم للمبالغة، فإن الإيغال يدخل أيضاً في الباب، لأن فائدته الأولى هي المبالغة من غير شك.

ونظم علي بن خلف الكاتب[٣] ذكر التتميم والتكميل في سلك واحد، فهما عنده شيء واحد، وفي حديثه عن الحشو المفيد، لا يخرج عن شواهد الاحتراس[٤]. كما نقل عن أبي علي الفارسي تعريفاً للتتميم

---

(١) العمدة حـ٢، ص ٥٠ ت محمد محي الدين- دار الجيل ط٥- ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
(٢) العمدة حـ٢، ص ٥٠.
(٣) اختلف في تاريخ وفاته، وهو من علماء القرن الخامس الهجري.
(٤) ينظر مواد البيان ت د/ حسين عبد اللطيف ص ٢٤٣.

قال[١]: "هو إتباع كلمة معتلة بكلمة صحيحة، يريد الثانية عن الأولى، في الخط بحرف واحد، نحو: سار وسارب، ودار ودارف، وعار وعارف".

وأورد قول أبي تمام:

**يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب**

وهو نوع لطيف يدرس في الجناس، وليس من الباب الذي بصدده البحث.

وبهذا ننتهي من دراسة المصطلح في تراث المتقدمين، ووقف الباحثة عند نهاية هذه الحقبة على عمد، إذ نحا الدرس البلاغي نحو آخر يتسم بالمنهجية والضبط والتحديد، وذلك في مطلع القرن السادس الهجري وما تلاه.

وما تريد الباحثة أن تنبه عليه الآن، أن مصطلح الاحتراس؛ ظل غائماً في هذه الدراسات، ولم ينضبط في إطار تحديد صارم، وإنما التبس بغيره من المصطلحات، كالاعتراض، والتتميم، والحشو، وقد يمتد إلى الإيغال والتذييل، بحسب الشواهد التي أوردها العلماء.

وهذه المصطلحات عموماً وردت في كلام المتقدمين على أنها من محاسن الكلام والشعر والتي تحقق جودة المعنى وصحته والمبالغة فيه وسلامته من الدخل أو النقص.

---

**(١) مواد البيان ت د/ حسين عبد اللطيف ص ٢٩٨.**

**ـ منشورات جامعة الفاتح ١٩٨٢م، وعرفه بعضهم بقوله: "هو أن يبتدئ بمعنى غير مشروح، فيتوهم أن السامع لم يفهمه، فيرجع إليه فيكشفه"، ينظر اللمعة في صنعة الشعر لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ه) ص ٥٦، ت د/ صلاح الدين الهادي، ط١، ١٤١٤ه ١٩٩٣م من إصدارات نادي المدينة الأدبي والتكميل عنده هو الاحتراس- ينظر صنعة الشعر، ص ٥٣- ٥٤.**

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والملاحظ كذلك: أن هذه المدرسة لم تكن تعنى بالحدود الفاصلة بين المصطلحات ولا بإظهار الفروق الدقيقة، قدر عنايتهم بالشاهد نفسه، وعلاقة ذلك كله بالمعنى وصحته وعريه عن الإحالة والفساد.

وينتقل البحث الآن إلى المصطلح في ظلال مدرسة المتأخرين، والتي يبدؤها الباحثة بالإمام فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) والذي عنى بتنظيم بلاغة عبد القاهر الجرجاني وتهذيبها وتحريرها وضبط أوابد الإجمالات في كل باب من الأبواب التي طرقها الإمام- رحمه الله تعالى-

## المبحث الرابع

## مصطلح الاحتراس في مدرسة المتأخرين

الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) تحدث عن الاعتراض وعرفه بقوله[١]: "أن تدرج في الكلام ما يتم الغرض بدونه".

وجعله على ثلاثة أضراب: مذموم، ووسط، ولطيف.

ومثل للأول بقول الشاعر[٢]: (وما يشفى صداع الرأس مثل الصارم العضب) وللثاني بقول امرئ القيس:

**ألا هل أتاها- والحوادث جمة بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا**

وللأخير- وهو الذي يكسو المعنى جمالاً- بقوله تعالى: **(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)**[٣]

وقوله تعالى**(وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**[٤].

وقوله **(مِنْ غَيْرِ سُوءٍ)** إن كان قد عدها من الاعتراض اللطيف، فهي من أم الباب في الاستشهاد للاحتراس عند سائر البلاغيين. وما يلفت الانتباه مثاله الأول في الاعتراض، وهو قول الشاعر: (وما يشفى صداع الرأس) وعده من الاعتراض محل نظر؛ إذ المفهوم من كلام البلاغيين، أن الاعتراض

---

(١) نهاية الإيجاز ت د/ نصر الله حاجي ص ١٧٢، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، دار صادر.
(٢) السابق نفسه، وهو كقول الشاعر الهذلي في الرثاء.
(٣) سورة الواقعة.
(٤) سورة النمل الآية ٢٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لا يكون إلا بجملة أو أكثر بين كلامين متصلين في المعنى(١)، وهو بالحشو أشبه(٢).

والإمام السكاكى (ت ٦٢٦هـ)، يذكر الاعتراض في البديع المعنوي(٣)، ويسوي بينه وبين الحشو، وعرفه تعريفاً عاماً- قد يتسع لصور كثيرة من الفنون- فقال: "أن تدرج في الكلام ما يتم المعنى بدونه(٤) وما ذكره من الشواهد، يدخل في الاحتراس والحشو والاعتراض.

وتعريفه للاعتراض ناقص، وشرحه للشواهد، أو تعليقه عليها، يذهب بجلال الاعتراض وحسن بلاغته.

ولعل عذره أنه كان معنياً بسرد المصطلحات والتمثيل لها في إطار الضبط المنطقي والسرد النقعيدي كعادته وخاصة فيما يتعلق بالبديع(٥).

فيعلق على قول طرفة المشهور في الباب بقوله: "فأدرج غير مفسدها"(٦)

وقول النابغة:

**"لقد نطقت بطلاً على الأقارع لعمري- وما عمري على بهين**

---

**(١) انظر ابن المعتز في البديع والإيضاح وسائر كتب البلاغة.**

**(٢) أقصد ما استشهد به من قول الشعر.**

**(٣) مفتاح العلوم ص ٤٢٨ ت نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.**

**(٤) السابق نفسه .**

**(٥) وقد أطلق عليه وجوه تحسين الكلام، وأول من قسم البلاغة إلى علوم ثلاثة هو بدر الدين بن مالك صاحب المصباح وتبعه الخطيب ومن تلاه .**

**(٦) مفتاح العلوم ص ٤٢٨.**

فقال: "فأدرج وما عمري على بهين[١]، وقول ابن المعتز:

**إن يحي- لا زال يحي- صديقي وخليلي من دون هذه الأنام**

"فأدرج: لا زال يحي[٢]

ولضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، جهد بارز في باب الإطناب عموماً وفي حديثه عن الاعتراض على وجه الخصوص، وهو صورة من صور الإطناب في درس الخطيب القزويني، كما سيتطرق إليه البحث- إن شاء الله تعالى-.

والحقيقة أن ما كتبه الرجل عن الإطناب لم يكتب مثله أحد من البلاغين- على حد علمي- في إظهار بلاغته، وما يتصل بشواهده من القرآن الكريم، وبعض صوره التي يرد عليها، والفرق بينه وبين التطويل.

وقد أنعم نظره في الإطناب- على حد قوله-.

فوجده "ضرباً من ضروب التأكيد التي يؤتى بها في الكلام قصداً للمبالغة[٣].

كما تحدث عن الاعتراض كصورة من صور الإطناب، وذكر عن بعضهم تسميتهم بالحشو[٤]، وهي تسمية قديمة، والاعتراض عنده لا يكون بالجملة وحدها، بل يكون باللفظ المفرد أو المركب.

---

(١) مفتاح العلوم ص ٤٢٨.
(٢) السابق نفسه، وكذلك صنع في شواهد القرآنية.
(٣) المثل السائر جـ٢، ص ٢٧٨.
(٤) السابق جـ٣، ص ٤٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهو في حديثه عن الاعتراض ارتكز على الكثير مما قاله ابن جنـــى- رحمه الله- في الخصائص، وإن لم يشر إليه- بل نقل كثيراً من ألفاظـــه دون تحريف(١).

وجعل الاعتراض على ضربين(٢)، مفيد وغير مفيد، وغير المفيد:

إما أن يكون دخوله في الكلام كخروجه منه، وإما أن يؤثر في تأليفـــه نقصاً وفي معناه فساداً.

والاعتراض إذا وقع موقعه "كسا الحديث لطفاً إن كان غـــزلاً، وكســـاه أبهة وجالاً إن كان مديحاً... وإن كان هجاء كساه تأكيداً وإثباتاً(٣).

ولابن الأثير كتاب آخر(٤) عرض فيه الجملة من المصـــطلحات التـــي بصددها البحث، وكلها تتشابك مع الاحتراس في الغاية والوظيفة كما ذكر.

ومن المصطلحات التي ذكرها الإيغال، والإيغال يتشابك مع التبليغ مـــن صور المبالغة، فهو ضرب من ضروب المبالغة.

والجديد عن ابن الأثير في هذا الباب إشارته إلى القول بعدم الفرق بينه وبين التتميم، إلا أن الإيغال في القافية، والتتميم في حشو البيت(٥)، فالاختلاف في الشكل والصورة وليس الجوهر والمضمون.

---

(١) ينظر المثل السائر حـــ٣، ص٤١، وينظر تعليقه على آية الواقعة (٧٥- ٧٦) المشهورة في باب الاعتراض، ويقارن بالخصائص حـــ١، ص ٣٣٦.
(٢) السابق ص٤١.
(٣) السابق ص٤٤.
(٤) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ت د/ النبوي شـــعلان، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م. الزهراء للإعلام العربي.
(٥) السابق ص ٢٣٥.

والإيغال دليل على حذق الشاعر؛ لأن كلامه ينقضي قبل القافية، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى(١).

والتتميم عنده يرد في الشعر إما مبالغة، وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير(٢)، وتعليقه على بيت طرفة المشهور في الباب، بقوله: "غير مفسدها" تتميم واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر(٣)، يدل على أنه لا يفرق بين الاحتراس والتتميم، أو على أقل تقدير، يكون الاحتراس ضرباً من التتميم، وهو في هذا متابع لابن رشيق صاحب العمدة.

وعد نقد قدامه لبيت ذي الرمة:

**ألا يا أسلمى يا دار مى على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر**

سهواً منها، لأن الشاعر قدم الدعاء لها في أول البيت(٤).

وفي حديثه عن الالتفات يجعل الاعتراض نوعاً منه(٥)، إلا أنه أشار إلى أن ابن المعتز لا يعد من الالتفات إلا ما كان من نوع:

انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة، وعن المخاطبة إلى الإخبار(٦).

---

(١) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ت د/ النبوي شعلان حـ١، ص ٣٣٦ .
(٢) السابق ص ٢٢٧.
(٣) السابق ص ٢٢٧.
(٤) السابق ص ٢٢٧.
(٥) السابق ص ٢٢٢.
(٦) السابق نفسه، وموقف ابن المعتز من الالتفات هو ما استقر عليه درس المتأخرين.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعرف ابن المنقذ (ت ٥٨٤هـ) الاحتراس بقوله[١]:

هو أن يكون على الشاعر طعن، فيحترس منه "كما أن التتميم إذا وقع في حشو البيت، سمي تتميماً واحتراساً، وإذا وقع في القافية سمي تبليغاً وتتبعياً"[٢].

والزنجانى (ت ٦٦٠هـ)، يتحدث عن الاعتراض[٣]وذكر أنه يسمى الحشو أيضاً، ويتابع الإمام الرازي، وإن لم يصرح باسمه، إذ جعل الحشو على ثلاثة أضرب، مذموم، ووسط، ولطيف[٤]، ولم يخرج في شواهده عما ذكره الرازي.

كما يذكر التكميل وجعله مرادفاً للتتميم، وعرفه بقوله:

"أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي يتم بها صحته وتكمل معها شيئاً إلا أتى به"[٥].

وهو في صنعيه هذا متابع لأبي هلال العسكري، في عدم الفصل بين التتميم والتكميل، وشواهده التي تعرض لها تبعد عن الاحتراس أيضاً، وإذ قد ذكر التكميل فالاحتراس فيه ضمناً من غير خلاف، كما جرى عليه أهل العلم.

---

(١) البديع في البديع في نقد الشعر ت/ عبدا. على مهنا ص٩٠، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية.

(٢) السابق ص٨٨- ٨٩.

(٣) معيار النظار في علوم الأشعار ت د/ محمد علي رزق الخفاجي ح٢، ص١٠٥، دار المعارف.

(٤) السابق نفسه، ويقارن بما في نهاية الإيجاز ص ١٧٢.

(٥) السابق ص ١٥٠.

والمظفر العلوي (ت ٦٥٦هـ) يتحدث عن الحشو السديد في المعنى المفيد، وشواهده التي أوردها لا تخرج عما أورده البلاغيون من قبل في الاعتراض والتتميم والاحتراس[١]

وكذلك فعل الإمام زين الدين الرازي (ت ٦٦٦هـ) في الاعتراض ويسمى الحشو، ولم يخرج في تعريفه وأقسامه وشواهده عما ذكره الرازي في نهاية الإيجاز[٢]

كما تحدث صاحب المعيار في نقد الأشعار[٣] عن الأطناب، إلا أنه سماه البسط في الكلام، وله مواضع يختص بها.

ومن صور البسط عنده التكميل، وتعريفه له لا يبعد عن الاحتراس في شيء إذ عرفه فقال[٤]: "هو أن يكمل المعنى المقصود حتى لا يبقى فيه اعتراض معترض".

كما ذكر من صور البسط الإيغال، وسماه التبليغ، وهو كالتكميل عنده، غير أن التبليغ خاص بالقافية[٥].

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض ت د/ نهى الحسن ص١٨٠ وما بعدها، دار صادر ط٢، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

(٢) ينظر روضة الفصاحة ت د/أحمد النادي شعلة ص٢٦١ وما بعدها، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. دار الطباعة المحمدية.

(٣) أبي عبد الله جمال الدين محمد بن أحمد الأندلسي، من علماء العصر الغرناطي.

(٤) المعيار في نقد الأشعار ت د/ عبد الله محمد سليمان هنداوي ص ١١٠، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م. مطبعة الأمانة.

(٥) السابق ص ١١١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وموقفه يذكرنا بموقف ابن الأثير في كفاية الطالب، في الحديث عن التتميم والإيغال(١).

وتحدث ابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤هـ) عن التكميل وهو عنده على ضربين(٢):

ضرب في معاني البديع، وضرب في فنون الكلام التي هي أغراض المتكلم وإرادته.

ولعله يقصد بفنون الكلام ما يتصل بالمدح والهجاء ونحوهما مما يتعلق بالأغراض التي تتصل بفن القول.

والذي في معاني البديع هو الذي غلط فيه أكثر المؤلفين والتبس عليهم بالتتميم على حد قوله، والتتميم(٣)- عنده-:

أن تأتي في كلام كلمة إذ طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته، أو في صفاته، ولفظه تام، وإن كان في الموزون نقص وزنه مع نقص معناه، فيكون الإتيان بها لتتميم الوزن والمعنى معاً، فإن تممت الوزن فقط فتلك من الحشو المعيب.

وعده تتميم الوزن من الحشو المعيب، محل نظر؛ إذ الوزن ضرورة يجوز لها ما لا يجوز في غيرها. والتكميل عنده(٤):

---

(١) يقارن بما أورده ابن الأثير في كفاية الطالب ص٢٣٥.
(٢) بديع القرآن ت د/ حفني شرف، ص١٤٣، نهضة مصر.
(٣) لسابق ص ٤٥- ٤٦.
(٤) السابق ص ١٤٣، ١٤٤.

هو أن يمدح إنسان إنساناً بصفة واحدة من صفات المدح، ويرى أن الاقتصار به على تلك الصفة فقط من المدح الذي لم يكمل، فيرى تكمليه بإضافة صفة أخرى إلى تلك الصفة.

وما أورده من الشواهد لا يخرج عما ساقه البلاغيون غيره في باب التتميم والاحتراس، والتتميم عنده أقسام ثلاثة:

تتميم نقص، وتتميم احتياط، وتتميم المبالغة[١]، واستشهد بآية البقرة **(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَار.....)**[٢]

ومعلوم أن تتميم الاحتياط، هو الذي عناه البلاغيون بالاحتراس، لكنه أفرد للاحتراس باباً أيضاً وعرفه بقوله[٣]

أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي في أصل الكلام بما يخلصه من ذلك.

والحقيقة أن ما ذكره في هذه الأبواب المتفرقة يتداخل بعضه في بعض، ولا يكاد يكون هناك كبير فرق إلا من حيث الصورة الخارجية أحياناً، أما من حيث الجوهر والقيمة والوظيفة فلا[٤]

---

**(١) بديع القرآن ت د/ حفني شرف، ص ٤٦.**

**(٢) سورة البقرة الآية: ٢٢٦.**

**(٣) بديع القرآن ص٩٣.**

**(٤) ويحسب له تحليله الجيد وشرحه المميز للشواهد القرآنية، مما يجلي أسرار النظم الكريم، في هذه الأبواب وفي غيرها مما تعرض له .**

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد يدخل الاحتراس الاطراد[١]، كما في قوله تعالى من سورة يوسف: **(وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)**[٢]، وإذ لو اقتصر على قوله **(وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي)**، دون ذكر البدل، لا ختلت صحة المعنى، "لأن مطلق الآباء يتناول من الأب الأدنى الذي ولد الإنسان إلى آدم- عليه السلام- وفي آباء يوسف- عليه السلام- إلى آدم ما لا يجب أن تتبع ملته، فالاحتراس بذكر البدل عما يرد على المبدل منه لو كان وقع الاقتصار عليه[٣].

ولعل في هذا ما يؤسس للفكرة التي يمهد لها الباحثة وهو أن الاحتراس صنعة عامة في البيان، وليس مجرد صورة محدودة من صور الإطناب، ولذا فهو يتقاطع مع موضوعات كثيرة في البلاغة.

وأما بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦هـ) فقد ذكر التتميم، وجعله على ضربين:

تتميم المعاني، وتتميم الألفاظ ويسمى حشواً ؟؟؟؟؟؟ وعرف الأول بقوله[٤]: هو تقييد الكلام بتابع أو فضله أو نحوها، لقصد المبالغة أو الصيانة عن احتمال الخطأ. والثاني هو: ما يقوم به الوزن ولا يحتاج إليه المعنى[٥].

---

**(١) هو أن يطرد للمتكلم أسماء لآباء ممدوحه منسوب بعضها إلى بعض مرتبة على حكم ترتيبها في الميلاد. ينظر بديع القرآن ص١٤١.**

**(٢) سورة يوسف الآية: ٣٨.**

**(٣) بديع القرآن ص١٤١.**

**(٤) المصباح ت د/ حسني عبد الجليل يوسف ص ٢١٠، ٢١١، مكتبة الآداب.**

**(٥) السابق ص ٢١١.**

ولعل الجديد في تعريفه هنا هو تقييده التتميم بالتابع أو الفضلة[١] ، فتخرج الجملة بذلك، وبهذا يكون التتميم أخص من غيره من صور الإطناب، ولعل هذه هي أول إشارة تصادف الباحثة بهذا التقييد.

وما ساقه من شواهد الباب لا يخرج عن شواهد البلاغيين في الاحتراس كذلك، كما أن تعريفه للتكميل لا يبعد عن الاحتراس شيئاً يذكر[٢].

وقد عرف الاحتراس بقوله[٣]:

أن تأتي في المدح أو غيره بكلام فتراه مدخولاً بعيب من جهة دلالة منطوقه أو فحواه، فتردفه بكلام آخر لتصونه عن احتمال الخطأ.

وقد ذكر هذه المصطلحات في ما يرجع إلى الفصاحة المعنوية من مباحث علم البديع[٤].

والتكميل والاحتراس مترادفاً عند علي بن محمد الجرجاني (ت ٧٢٩هـ) [٥]، ويرد في وسط الكلام وفي آخره، كما هو مقرر عند من سبق.

وفرق بين التكميل والتذييل من وجهين:

---

**(١) كالمفعول ونحوه كذا في البغية للشيخ عبد المتعال الصعيدي حـ٢، هامش ص١٢٨، وقال حسن الجلبي في حاشية المطول: أراد بالفضلة نحو المفعول أو الحال أو نحوهما، مما ليس بجمله مستقلة ولا ركن كلام، لا ما يتم أصل المعنى بدونه، ينظر ص٤٦٤.**

**(٢) ينظر المصباح ص٢١٦.**

**(٣) السابق ص٢١٥.**

**(٤) وهو أول من جعل البلاغة في علوم ثلاثة، وهو ما استقر عليه الدرس البلاغي التقعيدي والتعليمي.**

**(٥) الإشارات والتنبيهات، ت. د/ عبد القادر حسين ص١٤٣ وما بعدها.**

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

**الأول:** أن الكلام الثاني فيه لا يكون بمعنى الأول، بخلاف التذييل.

**الثاني:** أن احتمال غير المقصود فيه أقوى من التذييل[١].

وإذا استثنينا ما ذكره من الوجه الأول، رأينا الوجه الثاني لا يصح أن يكون فرقاً يذكر.

والاعتراض عنده من التتميم، إذ التتميم "هو أن يزاد في كلام زيادة، لا لإزالة غير المقصود، بل لفائدة أخرى، للمبالغة، أو للاعتراض على وجه التنزيه أو غير ذلك[٢].

ويقصد بقوله (لا لإزالة غير المقصود) ما يراد من التكميل، وهو من الفروق التي ذكرت عند بعضهم، كالخطيب وغيره.

والسجلماسي[٣] يذهب إلى أن التتميم والتكميل شيء واحد، وهو يرد في الكلام إما مبالغة، وإما احتياطاً واحترازاً من التقصير[٤]، وبهذا يدخل الاحتراس ضمناً، وإن لم ينص على المصطلح صراحة؛ لأن التكميل هو الاحتراس من غير نزاع.

ومن إشاراته المهمة أنه رفض ما قرره ابن رشيق في العمدة، من أن الاعتراض قد يقع في آخر القول وعجزه.

---

**(١) الإشارات والتنبيهات، ت. د/ عبد القادر حسين ص١٤٣.**

**(٢) السابق نفسه بتصرف يسير.**

**(٣) من علماء القرن الثامن الهجري بالمغرب، ألف كتابه (المنزع البديع سنة (٧٠٤هـ) .**

**(٤) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ت علال الغازي ص٣٢٣، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨٠م مكتبة المعارف، الرباط.**

ويفهم من كلام السجلماسي وتعليقه على الشواهد مما أورده ابن رشيق[١]، أن هذا ليس من الاعتراض، ولا يدخل في جنسه، وإنما هو من باب آخر وهو الالتفات[٢].

على أن الباحثة قد تدفع كلام السجلماني، اعتماداً على ما ذهب إليه بعضهم من أن الاعتراض قد يكون صورة من صور الالتفات، وليس ببعيد.

ولنجم الدين بن الأثير الحلبي (ت ٧٣٧هـ)، إشارة مهمة فيما البحث بسبيل تقريره من نتيجة، إذ قال عن الاعتراض[٣]:

"هذا الباب اختلف الناس في تسميته، فمنهم من سماه الاعتراض، ومنهم من سماع الحشو، ومنهم من سماه التمام، فأما من سماه بالحشو فلم ينصفه بهذا التسمية، إذ الحشو، إنما هو فضلة في الكلام يستغنى الكلام عنها.

وباب الاحتراس متداخل في هذه الأبواب أيضاً، وذلك لأن التمام والاحتراس والاعتراض والحشو، وكل ذلك نوع واحد وإن كان مختلف الأسماء، وسبب ذلك أن حد الجميع أن يكون ظاهر اللفظ يفهم منه الاستغناء عن الكلمة التي تزاد فيه، فتارة تكون الزيادة محتاجاً إليها في المعنى، فلا يفهم المراد إلا بها، وتارة لا يكون الإتيان بالجملة الزائدة احترازاً من دخول خلل في المعنى، فما كان الاحتياج إليه لتمام المعنى سمى اعتراضا، وما كان الاحتياج إليه للاحتراز من دخول خلل في المعنى سمى التمام والاحتراس

(١) من مثل "سقي البشام" وسقيت الغيث أيتها الخيام..
(٢) ينظر المنزع ص٥٤٥.
(٣) جوهر الكنز حـ١ د/ محمد زغلوا سلام، ص١١٤، منشأة دار المعارف.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أيضاً، لأنه احترس بدخول شيء بين الجملتين من خلل يقع، فلهذا سمى الاحتراس".

وبغض النظر عن اعتراضه على مسمى الحشو؛ فإن الذي يعنى البحث هنا من كلامه هو حديثه عن تداخل كل هذه الأبواب بعضها في بعض، وما هي في حقيقة الأمر إلا نوع واحد، فهذه الأبواب جميعها من الاعتراض والتكميل والتتميم والتذييل والإيغال، إما أن ترد تتميماً للمعنى ومبالغة فيه على سبيل التقرير والتأكيد والتحقيق، وإما أن تكون لدفع إيهام يعرض على المعنى، فيؤاخذ عليه المبدع، وهو كلام له مغزاه فيما نحن بصدده، ولعل هذه هي أول إشارة لعالم من العلماء تنص على هذا التداخل التام بين هذه المصطلحات بصورة واضحة.

والتتميم- عنده- كالتكميل، فحقيقته: "أن تذكر معنى فلا تغادر شيئاً يتم به ذلك المعنى إلا أتيت به مكملاً لنقصه(١).

وفائدته(٢): تكميل نقص المعاني وتوفية المقاصد منها وما استشهد به من قول طرفة (فسقى ديارك...) داخل في الاحتراس، فلا فرق عنده بين هذه المصطلحات، فيما ترى الباحثة، كما أن الإيغال لا يفترق عن التتميم، غير أن التتميم يقع في وسط البيت، والإيغال يقع في آخره(٣).

---

(١) جوهر الكنز حـ١ د/ محمد زغلوا سلام ص ١١٨.
(٢) السابق نفسه .
(٣) ينظر جوهر الكنز ص ١١٩.

والعلامة الخطيب القزويني[١]الذي بلغت البلاغة على يديه ذروة الضبط والتحديد وتحرير المصطلحات، يتحدث عن التكميل كضرب من الإطناب، ولا فرق بينه وبين الاحتراس، وهو:

أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه[٢]، والاحتراس كما يكون في وسط الكلام قد يقع في آخره، كما هو مفهوم من الشواهد التي ساقها في التلخيص على وجه من الغموض والإيجاز، وهو ما فصله ولخصه في الإيضاح[٣].

كما ذكر التتميم من صور الإطناب أيضاً، وهو: "أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكته[٤].

وبهذا يظهر الفرق جلياً بين التتميم والتكميل، فالتكميل يرد في كلام يوهم خلاف المقصود، وأما التتميم، فيرد في كلام لا يوهم خلاف المقصود، لنكته كالمبالغة ونحوها.

والحقيقة أن ما ذكر في شواهد التتميم يصلح أيضاً للاحتراس أو التكميل.

والاعتراض- عنده- يكون بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لنكتة سوى ما ذكر في تعريف التكميل، كالتنزيه والتعظيم[١].

---

(١) (ت٧٣٩هـ ) .

(٢) التلخيص ص٢٢٩ ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي ط١، ١٩٠٤م، دار الفكر العربي.

(٣) وقد نقل الشيخ البرقوقي- رحمه الله- من الإيضاح ما وضعه في حاشيته على التلخيص، ويقارن بما في الإيضاح. ينظر الإيضاح بالبغية حـ٢، ص١٢٥، وما بعدها.

(٤) السابق حـ٢، ص١٢٧، ١٢٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إذ لا يوجد كبير فرق بين هذه المصطلحات الكثيرة، إلا في الصورة دون الجوهر، فإذا كانت النكتة في الاحتراس أو التكميل، لدفع الإيهام، فإن نكتة الاعتراض للتنزيه والتعظيم على حد تعبير الخطيب(٢).

وفي الحقيقة أن النكات المتعلقة بالاعتراض حينما تبحث في القرآن الكريم، والحديث والشعر وغير ذلك من الأدب، قد تكون أكثر مما ذكر، ولا يمكن للنكات أن تنحصر في هذا الحيز أو القدر الضيق، وهي أمور ذوقية تتعلق بالأغراض والمقامات والسياقات المختلفة.

وإذا كان من فرق يذكر، كما فهم من كلام بدر الدين والخطيب، فهو أن التكميل لا يكون إلا فضله، فله محل من الإعراب، والاعتراض غير ذلك، كما أن الاحتراس أو التكميل يرد في وسط الكلام وطرفه، بخلاف الاعتراض، فإنه لا يقع إلا كلاماً معترضاً بين كلامين، ولا يختلف عن الإيغال، سوى أنه لا يكون إلا في جملة القافية، كما هو مفهوم من كلام أهل العلم.

على أن الخطيب أشار إلى أن من الناس من يجوز أن تكون النكتة في الاعتراض، دفع توهم خلاف المقصود، كما لا يشترط أن يكون واقعاً في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى(٣)، وهو كلام مهم في مسيرة البحث يقضي على تلك الحدود الفاصلة بين تلك المصطلحات المتشابكة على الأقل من الناحية الوظيفية، وهو ما يجعل كلام الشراح بعد ذلك من قبيل المماحكات

---

(١) السابق جـ٢، ص١٢٩.
(٢) الإيضاح بالبغية حـ٢، ص١٢٩.
(٣) السابق نفسه ص ١٣٢، ١٣٣، والتلخيص ٢٣٣ وما بعدها.

التي لا تخدم الفكرة البلاغية في شيء بقدر ما تعطل مسيرة الفن وتقضى على جمالية الذوق.

وينهج الإمام الطيبي (ت ٧٤٣هـ) منهج بدر الدين بن مالك، إذ يقسم البديع إلى قسمين، ما يرجع التحسين فيه إلى المعنى، وما يرجع التحسين فيه إلى اللفظ والمعنى(١).

ومصطلحات الدراسة تقع عنده في الباب الثاني، أي التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى.

وذكر التكميل، وأورد له شواهد عدة لا تخرج عن شواهد البلاغيين في الباب، وشرحه لها يدل على نكتة دفع الإيهام، فهو وإن لم يذكر مصطلح الاحتراس، فمفهوم كلامه أن التكميل والاحتراس شيء واحد ولا معنى للفرق بينهما(٢).

والتتميم- عنده - (٣)تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة أو صيانة عن احتمال مكروه.

وقوله "أو صيانة عن احتمال مكروه" يدخل الاحتراس من هذا الوجه.

والإيغال كذلك تكميل، إلا أنه في مقاطع الكلام، وقافية الشعر(٤)، كما أن شواهده في التتميم تتقاطع مع الإيغال مفهوماً أيضاً(٥).

---

(١) التبيان في البيان ت د/ عبد الستار زموط ص٤٢١، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، دار جيل.
(٢) السابق نفسه ص٤٨٦ وما بعدها.
(٣) السابق ص٤٨٨
(٤) ينظر التبيان ص٤٨٨.
(٥) السابق ص٤٨٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والترقي عنده كذلك يدخل في التتميم والتكميل أيضاً[١].

وذكر الاعتراض ولم يأت بجديد على ما قاله السابقون[٢].

والفصاحة المعنوية عند العلوى (ت ٧٤٩هـ) ما كان متعلقاً بالمعاني دون الألفاظ[٣].

والتذييل هو الضرب الأول فيما يتعلق بالفصاحة المعنوية، وعرفه بقوله: هو الإتيان بجملة عقيب كلام متقدم لإفادة التوكيد له والتقرير لمعناه[٤].

وتعرض لمصطلح الإكمال، وفائدته رفع الإيهام، كما يفهم من كلامه[٥].

وقد حاول أن يفرق بين الإكمال والتتميم من جهة اللفظ ومن جهة المعنى[٦].

أما من جهة اللفظ: "فهو أن التتميم إنما يقال في شيء نقص ثم تمم بغيره، بخلاف الإكمال، فإنه تام لم ينقص منه شيء، خلا أنه أكمل بغيره، فصار الأول بالزيادة تاماً، وصار الثاني بالزيادة كاملاً.

---

(١) التبيان ص٤٩١- ٤٩٢.

(٢) السابق ص٤٩٣.

(٣) الطراز للعلوي ص٥٦٦ مراجعة/ محمد عبد السلام شاهين.

(٤) السابق نفسه ص ٥٦٦، والتذييل ضربان، ضرب يخرج مخرج المثل، وضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله، هكذا في الإيضاح وغيره . وقد ذكر مراجع الكتاب مصطلح التتميم بدلاً من التذييل، وهو خطأ أو سهو، لأن التعريف يقضي أن العلوي أراد التذييل.

(٥) الطراز ص٤٥٢.

(٦) السابق نفسه .

وأما من جهة المعنى: فهو أن التتميم إنما يذكر من أجل رفع احتمال متوهم، فلهذا افترقا، فالإتمام يرفع الخطأ مما ليس ذماً، والإكمال يرفع الذم المتوهم إذ لم يذكر، فهذا تقرير ما يمكن من التفرقة بينهما.

والحق أن ما ذكره من فرق ليس بشيء عند التطبيق وبيان النكات واللطائف التي يقصد إليها العلماء.

وذكر التتميم، وعرفه بما عليه اصطلاح البيانيين فقال هو: عبارة عن تقييد الكلام بفضله لقصد المبالغة، أو للصيانة عن احتمال الخطأ، أو لتقويم الوزن(١).

وما أورده في تقويم الوزن هو الذي لقبه البعض بالحشو غير المفيد كما سبق في ثنايا البحث، وما استشهد به من قول طرفة (فسقى ديارك...) لرفع الإيهام، هو من صميم شواهد البلاغيين في الاحتراس كما أسلفنا القول في مواطنه.

وصفى الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ) ينتقد ابن رشيق ومن ذهب مذهبه من التسوية بين الاحتراس والتتميم، وبينهما بون بعيد على حد قوله(٢).

ويخالف جمهور البلاغيين من التسوية بين التكميل والاحتراس، ويرى أن: التتميم، يكون متمماً للنقص، فيجعل الناقص تاماً، والتكميل يجعل التام كاملاً، كما أن التتميم يكون متمماً لمعاني النفس لا لأغراض الشعر ومقاصده،

---

(١) الطراز ص٤٤٩، وما بعدها.

(٢) شرح الكافية البديعية ت د/ نسيب نشاوي ص ٣١٦، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، دار الجبل، بيروت.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والتكميل يكملهما معاً، والاحتراس هو لاحتمال دخل يتطرق على المعنى وإن كان تاماً كاملاً، ووزن الكلام صحيحاً(١).

وما ذكر من فروق لا يمثل قيمة عند التطبيق وإظهار القيمة الوظيفية، والشواهد التي أتى بها تصلح لجميع المصطلحات المذكورة من غير فرق يعول عليه.

على أن الشيخ بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ)، من أبرز شراح التلخيص، يتعجب من القول بالفرق بين التكميل والتتميم وهما- عنده شيء واحد(٢)، وجل ما يمكن أن يقال في الفرق لغة:

أن التكميل استيعاب الأجزاء التي لا توجد الماهية المركبة إلا بها.

والتتميم قد يكون بما وراء الأجزاء من زيادات يتأكد بها ذلك الشيء الكامل(٣).

وقد يكون الفرق أيضاً: أن التكميل يكون لدفع إيهام غير المراد، بخلاف التتميم(٤).

ولم يشذ عن غيره من السابقين، بيد أن له استدركات تؤخذ في عين الاعتبار، فالإيغال مثلا إن كان هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم العمنى بدونها، فإن الشواهد التي أوردوها، لا يسلم لهم أن المعنى يتم بدون جملة الإيغال.

---

(١) شرح الكافية البديعية ت د/ نسيب نشاوي ص ١٤٣، ٣١٧.
(٢) عروس الأفراح حـ٣، ص١٢٨ ت د/ خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية ط١، ص١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
(٣) عروس الأفراح حـ٣، ص١٢٨.
(٤) ينظر السابق ص١٢٩.

وهي نظرات استفاد منها النقد الحديث، والدراسات الأسلوبية التي عنيت بتحليل النصوص[١].

ولم يشذ البابرتى (ت ٧٨٦هـ) وهو من شراح التلخيص أيضاً عن تقريرات غيره من السابقين[٢].

والعلامة سعد الدين التفتازانى (ت ٧٩٢هـ)، لم يزد شيئاً يذكر، غير ما يفهم من كلامه، وهو تداخل كثير من المصطلحات التي هي محل الدراسة التي يعنى بها البحث، كالاعتراض، والتتميم، والتكميل، والتذييل، والإيغال[٣].

وأشار إلى التداخل أيضاً الفاضل العصام[٤] (ت ٩٤٣هـ).

وأما ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) من أعلام البديعيات، فالتكميل عنده هو الاحتراس، كما يفهم من شرحه للشواهد التي ساقها في باب التكميل[٥].

---

(١) ينظر مثلاً نقد الدكتور/ شكري عياد للبلاغيين في استظهار بلاغة الاحتراس في قول طرفة: "وحببنا عليها ظالمين"، ينظر اللغة والإبداع ص٣٢ وكذلك ينظر دراسات الدكتور/ وهب رومية في النقد وغيرهم من الدارسين.

(٢) ينظر شرح التلخيص ت د/ محمد مصطفى صوفيه ص٤٥٠ وما بعدها ط١، ١٣٩٢هـ ١٩٨٣م، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس.

(٣) ينظر المطول ص٢٩٣ وما بعدها نشر المكتبة الأزهرية للتراث ١٣٣٠هـ .

(٤) ينظر الأطول جـ٢ ص٩٩ وما بعدها، ت د/ عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية.

(٥) خزانة الأدب شرح عصام شعيتو ح١، ص٣٧٥، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وينبه على غلط من خلط بين التكميل والتتميم، حيث ساقوا في باب التتميم شواهد التكميل، ولم يقنع بما ذكره ابن أبي الأصبع من فرق، والفرق عنده أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه.

والتكميل: يرد على المعنى التام فيكمله(١).

"ومع نعيه على العلماء خلطهم أمثلة هذا وأمثلة ذاك وقع هو نفسه في هذا الخطأ"(٢)

كما أن الإمام السيوطي (ت ٩١١هـ)، اعتبر ما ذكره ابن حجة من فرق غير واضح(٣).

ونقل عن عبد الباقي اليمني(٤)، أن البديعيين لا يكادون يحررون ثلاثة أشياء: التتميم والتكميل والاحتراس، لتداخلها(٥).

وما ذكر من نقل السيوطي هو مناط اهتمام البحث.

ولم يضف ابن يعقوب المغربي (ت ١١٢٨هـ)، على ما قاله المحققون من الشراح شيئاً يذكر يستلزم التنبيه عليه(٦).

---

(١) السابق ص٣٧٥.

(٢) قدامه بن جعفر والنقد الأدبي ص٢٧٠ وما بعدها.

(٣) عقود الجمان بهامش حاشية المرشدي حـ١، ص٢٤٦، ط٢، ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م الحلبي.

(٤) لم أقف عليه .

(٥) ينظر عقود الجمان جـ١، ص٢٤٦.

(٦) مواهب الفتاح مجلد (١) ص٦٧٠ وما بعدها.

## المبحث الخامس : مصطلح الاحتراس في الدرس البلاغي المعاصر

وإذا كانت الباحثة قد رصدت حركة الاحتراس في التراث البلاغي القديم، وتبين له تداخل المصطلح مع غيره من المصطلحات التي تشترك معه في الوظيفة والغرض.

كذلك الحال في الدرس البلاغي المعاصر، إذ يقف الدارس على الظاهرة نفسها من التداخل والتشعيب في المصطلحات نفسها بما لا يفيد البحث البلاغي من الناحية الوظيفية، فما يذكر من شواهد في مؤلف للاحتراس مثلاً تجده عند آخر من شواهد الحشو أو الاعتراض أو التكميل أو التذييل أو الإيغال، والعكس قد يكون صحيحاً.

ولا يفيد البحث هنا أن أعرض لدراسات المعاصرين والمؤلفات التي بين أيدينا، لأن المتخصصين والدارسين في الميدان لا يغيب عن أذهانهم شيء من ذلك، وإنما أرادت الباحثة التنويه والإشارة إلى الواقع لا غير.

وبين أيدينا مؤلفات كثيرة، كجواهر البلاغة للهاشمي[١]، وزهر الربيع للحملاوي[٢]، والبلاغة العالية (علم المعاني) للشيخ عبد المتعال الصعيدي[٣]، وعلم المعاني للدكتور/ عبد العزيز عتيق[٤]، والبلاغة الاصطلاحية للدكتور/ عبده قلقيلة[٥]، والوسيلة الأدبية[٦]، وغير ذلك من تراث المؤلفين الذين تذخر

---

(١) دار الفكر- بيروت.
(٢) المكتبة التوفيقية.
(٣) مكتبة الآداب.
(٤) الآفاق العربية.
(٥) دار الفكر العربي.
(٦) للشيخ حسين المرصفي، الهيئة العامة للكتاب.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بهم مكتبة البلاغة، وبنظرة فاحصة في جملة هذه المؤلفات وغيرها تتجلى تلك الظاهرة مكشوفة سافرة لكل ذي عينين يرى بهما ويبصر.

## المبحث الأخير: صور الاحتراس والقيمة الوظيفية

يفهم من كلام العلماء أن للاحتراس قيمة بلاغية كبيرة، ومنزلة في البيان عالية، ولم تقف على كلمة لأحد من العلماء تضعف بجمالية الاحتراس، فإن درس في الإطناب، فهو من المعاني، والمعاني بمنزلة الرأس من الجسد في البنيان البلاغي، وإن درس في البديع، كما عند أصحاب البديعيات ومن لف لفهم، فهو في الذروة من الصناعة المعنوية، وأصل الحسن في جميع فنون البلاغة أن تكون في خدمة المعنى إذ هو القطب الذي تدور حوله الرحى.

وأفاد علماؤنا أن وظيفة الاحتراس في المقام الأول، هي التوقى والتحرر وصيانة المعنى من كل ما يضعفه أو يدخله من التوهم أو القصور أو نحو ذلك.

وعند إنعام النظر وإطالة التدبر في هذه الغاية يتجلى للباحثة، أن هذه هي الوظيفة المنوطة بالبحث البلاغي عموماً، والأمل المنشود من دراستها في جميع مستوياتها وفروعها وشعابها وأنماطها.

وعليه ترى الباحثة أن دراسة الاحتراس في هذه المساحة تضييق غير منطقي وإضعاف لصورة عالية من فن القول.

وبغض النظر عن كثير من المماحكات التي جرت على لسان كثير من العلماء في محاولة التفريق بين مصطلحات مختلفة، يصلح أن تكون فروعاً في شجرة الاحتراس الوارفة، فإن وظيفة الاحتراس قد لا تقف عند رفع

الإيهام فقط، بل تمتد إلى حراسة المعنى من كل ما يدخله أو يحوم حول ذهنية المتلقي من تخيلات تضعف منه.

فالاحتراس يجامع التشبيه فيزيده جمالاً، ويجامع المثل، فيزيده روعة وتفصيلاً، كما يجامع الاستقصاء، فيزداد به البيان وضوحاً، ويتأثر به المعنى غوراً وعمقاً.

ويفهم من كلام أهل الصناعة وأرباب البراعة، أن الاحتراس يرد في الكلام على ضربين لا ثالث لهما:

ضرب يتوسط الكلام، وآخر يكون آخراً(١).

وربما إذا استقرأنا أشعار العرب في حقبه الممتدة، قد نقف للاحتراس على نماذج يكون فيها بداية كلام، وهو مما لا يمنعه العقل.

وإذا استأنسنا بقول الشاعر:

**ألا يا اسلمى يا دارمي على البالي ولا زال منهلاً بجرعائك القطر**

وقد سها قدامه- رحمه الله- فعابه، بحجة أنه لم يحترس كما هي عادة القوم في الدعاة بالسقيا من مظنة الهلاك والإفساد، وقد نبه على غفلته كثير من العلماء، فدعا للديار بالسلامة، فأغناه الاحتراس الأول عن الاحتراس الثاني، فإن هذا التخريج قد يدعم رؤية البحث بأن الاحتراس يقع في بداية

---

**(١) الأول كقول الشاعر (فسقى ديارك غير مفسدها...) والثاني كقوله تعالى: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) (سورة المائدة ٥٤) ، ينظر شرح التلخيص للسعد التفتازني حـ١، ص٢٨٥. علق حواشيه الشيخ عبد المتعال الصعيدي، المكتبة المحمودية، ١٣٥٦هـ.**

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الكلام كذلك، وليس هناك ما يمنعه، والحكم في ذلك حاجتنا إلى الاستقراء في إبداع العرب شعراً ونثراً.

وتدليلاً على ما ذهب إليه البحث من أن الاحتراس قد يجامع فنوناً كثيرة تتقاطع معه في أداء القيمة والوظيفة، نعرض لقول الله تعالى: **(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ)**(١).

وهذه الآية الكريمة من شواهد البلاغين في الاستقصاء، إلا أن كل كلمة فيها وقعت موقع الاحتراس، الذي يجود به المعنى في ظلال صورة كلية لمشهد متكامل، يجسد قمة الحسرة على الفقدان والحرمان بأعظم مهلك والزمن زمن حاجة وعوز، ولنتابع جزئيات النظم المتناغم في رسم الصورة من جميع الأبعاد.

فالجنة هنا من نخيل وأعناب، وليست من خمط وأثل أو شيء آخر لا يكترث له، ثم ذكر أن الأنهار تجرى من تحتها، فتزدان ثمارها نضارة وغضارة، والرجل في الصورة ليس حدثاً أو شاباً حتى يؤمل له الحصول على شيء فات، وفي حال كبره له ذرية، وهذه الذرية مازالت ضعيفة فهي في أمس الحاجة إلى العطاء، لكن الجنة الموصوفة بتلك الصفات، أصابها إعصار، وكنا كافياً لأداء معنى الهلاك، لكن تبقى في الصورة ظلال من بقية فإذا ما جاء قوله (فيه نار) زاد الصورة فظاعة والهلاك شناعة، (فاحترقت)،

---

(١) سورة البقرة الآية: (٢٦٦) .

وهي صورة توحي بالمصير المشئم والنهاية البائسة التي لا يتمناها أحد مهما كان.

كما تقرأ قوله تعالى: **(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ...)**[١].

فيروقك من الآية الكريمة تنامى المعنى شيئاً فشيئاً بالتكميل أو الاحتراس، حتى إذا وقفت على نهايتها "نور على نور" راعك هذا النور، واستبد بك الخيال، لتكييف مصدر النور، أهو نور المصباح، أم نور الزيت، أم نور الزجاجة، أم هو النور النابع من نظم الآية الكريمة وحروفها ومفرداتها، أم هو نور الله الأسنى، الذي يقطع المعاندين بالإعجاز في التصوير والبيان؟!!

على أن هذا النور المتراكب لا يهتدى إليه كل سار- على توهجه- بل هي هداية الله تعالى التي تنجذب نحوها قلوب السالكين والمريدين.

وهذا هو منهج القرآن الكريم في كثير من شعبه ومسالكه في أداء المعنى وتصويره، بحيث لا يترك بقية تبقى في خيال المتلقي.

ولك أن تقرأ قول الله تعالى من سورة النور أيضاً: **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ**

---

(١) سورة النور الآية: (٣٥) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

**يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**(١).

والآيتان الكريمتان في تصوير خيبة مسعى الكافر ونهايته المؤلمة.

وإذا كان التصوير بطريق التشبيه، مما يجسد المعاني ويقربها إلى الأذهان، فإن التعبير القرآني يتخذ وسائل أخرى فاعلة في خدمة المعنى تهدف إلى حراسته من كل نقص.

والصورتان التشبيهيتان تعملان في جهة واحدة إلا أن الأولى في البر، والأخرى في البحر، فالأعمال في الصورة الأولى مشبهة بالسراب لكن السراب هنا ليس في مكان آهل، وإنما بقيعة، والذي يبحث عن الماء ليس للحاجة فقط، وإنما هو في أمس الحاجة طلباً له (الظمآن) ولم يقف المعنى التصويري عند هذا الحد، بل يتعداه إلى معنى أعمق، إنه يجد في طلبه، حتى تكون المفاجأة المذهلة على غير ما يتوقع ويؤمل (حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً)، ولو وقفت الصورة عند تصوير حد الهلاك لكان يكفى، لكن الصورة لما تكتمل بعد، بل لابد من مواجهة الحساب بين يدي أحكم الحاكمين، **(وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)**.

وينهج القرآن المنهج نفسه في الاستقصاء للمعنى والإلمام به من كل جانب يتخيله الذهن، في الصورة الثانية: **(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ)** أي لك أن تتخيل المعنى في هذه الصورة أو تلك، على حسب ما يتبادر إلى ذهنك، وما هو أقرب إلى حسك وواقعك.

---

(١) سورة النور الآيتان: (٣٩، ٤٠) .

فالظلمات ليست في مكان عادي، وإنما هي من ظلمات البحر، وهي أشد وأدهى من أي ظلمة أخرى، والبحر هنا لجي، أي متدافع الأمواج، دلالة على العمق والسعة، والأمواج- أيضاً- متراكبة، ظلمات بعضها فوق بعض، وحتى ينقطع كل أمل يرجى قال: **(إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا)**. والسراب الخادع في الصورة الأولى هو أمل الكافر في نفع أعماله.

والظلمات في الصورة الأخرى هي ظلمات الكفر التي يحياها الكافر نفسه في انقطاع دائم عن الله، لأن استمداد النور، لا يكون إلا من مصدره، ومصدر النور الأسنى هو الله رب العالمين **(وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)**.

وإن شئت مزيداً من البيان فلن يعيك أن تقرأ قوله تعالى كذلك في تصوير الاغترار الخادع بالنعمة التي قد تكون سبباً في الطغيان أحياناً: **(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آَتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)**[1].

وأنعم النظر مستمتعاً بهذا التصوير النادر الذي لا يغادر شيئاً يمس المعنى، فالجنتان من أعناب، وسورهما النخيل ولا يكون إلا مثمراً، كما يفهم من سياق الآيات، ويتخللهما زراعات أخرى، تنتج ثمراً آخر، وكل جنة، آتت ثمارها، ولم تنقص منه شيئاً، وصاحب الجنتين في المشهد ينعم بالراحة التامة، إذ أمد الله الجنتين بنهر يتخللهما، **(وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا)**.

---

(١) سورة الكهف الآيات: (٣٢- ٣٤) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعطاء الله تعالى لصاحب الجنين ممتد أيضاً، إذ رزقه الله المال الكثير **(وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ)** وفي قراءة (ثمر) بالضم، وهو المال، كما ورد في المعاجم(١).

وقوله سبحانه:-

**(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (٢)وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(٣)**.

ويقتضي البحث أن نتوقف عند جملة الاحتراس في الآية الكريمة **(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ)**.

والغرض من جملة الاحتراس- والله أعلم- إظهار قدرة الله تعالى في الهداية والتوفيق، وأنه تعالى لا يغالب ولا يعصى مقهوراً، فانسلاخ الرجل من الآيات بعد أن علمها ليس من باب المغالبة لله أو الخروج على قوانين قدرته وإرادته، بل لأنه آثر متاع الدنيا، وأخلد إلى هواه، وركن إلى الشهوات؛ فحرمه الله تعالى نعمة الرفعة والتوفيق.

وروعة المثل بالكلب على هذه الهيئة التي لا ينفك عنها في جميع الأحوال، جاع أو شبع، حملت عليه أو لم تحمل، في الحر أو في البرد... ترتبط بمن أعرض عن الآيات، وآثر الضلال بعد الهدى، اتباعاً للشهوات

---

(١) مختار الصحاح، والقراءة لأبي عمرو وغيره، ينظر مادة (ث م ر) .

(٢) سورة الأعراف الآيتان: ١٧٥- ١٧٦.

(٣) ينظر في صبح الأعشي حـ٢، ص٢٢٩ وما بعدها سلسلة الذخائر ١٣١ إصدار أول ديسمبر ٢٠٠٤م.

والمغانم، فإنه سيبقى لاهثاً لا يملأ جوفه شيء، وستبقى حرارة الشهوات في جوفه لا تفارقه، كما أن حرارة جوف الكلب لا تغادره على حال.

ولا أريد أن أطيل في عرض الشواهد من القرآن الكريم، لأن الاستقصاء يتعذر على الباحثة من وجوه كثيرة، وربما يكتفي بالشاهد الواحد تدليلاً على التعقيد والتأصيل للفكرة المنوط بها البحث.

ومما جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم قوله للسيدة عائشة- أم المؤمنين رضي الله عنها[١]): "كنت لك كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك".

فقوله صلى الله عليه وسلم غير أني لا أطقك من الاحتراس البديع الذي يتناغم مع معطيات السياق.

ومن ورائعة قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة...).

والاحتراس وقع في أول الكلام، وهو قوله : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء)، دفعاً لما قد يرد على الذهن من عدم شمول الإحسان للحياة والأحياء.

وسابق الشعراء إلى الاحتراس بلا منازع هو امرؤ القيس، ومنه قوله في المعلقة المشهورة[٢].

---

**(١) جمهرة أشعار العرب ص١٢٧ ت/ محمد علي البجاوي. نهضة مصر.**

**(٢) ديوان ابن المعتز ص ٣٦٤ دار صادر، والمرعبل: الممزق والقور: المشى على أطراف القدمين وبضم القاف: الجبال الصغيرة.**

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

**وجيد كجيد الريم ليس بفـاحش إذا هـــي نصـــه ولا بمعطـــل**

فلما شبه عنقها بعنق الظبى في هيئة مخصوصـــة- إذا هـــي نصـــته- احترس للمعنى الذي قد يدخل على هذه الهيئة؛ لأن عنق الظبية يطول إذا هي رفعته.

وقوله- أيضاً- في وصف الفرس:

**مكر مفر مقبـــل مـــدبر معـــا كجلمود صخر حطه السيل مـــن عـــل**

فقوله- معا- احتراس مصيب، للمعنى الذي قصد إليه، حتى يـــدفع بـــه توهماً قد يسبق إلى الذهن وهو أن كره وفره مرهون بحال الإقبال فقط، كمـــا هي العادة في صفة الفرس، ولما شبهه بجلمود الصخر، تمم المعنـــى بقولـــه (حطه السيل من عل) حتى ترتسم في المخيلة الصورة الحقيقية لفرس ســـريع شديد ومندفع قوي.

ومع الاحتراس المصيب، ما وقع في شعر ابن المعتز في صـــفة خيـــل الحرب[١]:

**وقد أشهد الغارات والمـــوت شـــاهد يجور بأطراف الرمـــاح ويعـــدل**

**بطعن تضيع الكـــف فـــي لهواتـــه وضرب كما شق الرداء المرعبل**

(١) انظر في الموشح للمزباتي ص٣٩ ت محمد حسين شمس الدين، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، والأخرج: ذكر النعام.

**وخيل طواها القــور حتــى كأنهــا أنابيب سمر من قنا الخــط ذبــل**

**صــببنا عليهــا ظــالمين ســياطنا فطارت بها أيد ســراع وأرجــل**

والاحتراس في قوله (ظالمين) فدل على أن ضرب الخيل بالسياط ليس من بلادة أو ضعف، ومما ينمي فاعليه الاحتراس ويقربه إلى المخيلة الذهنية، الاستعارة في قوله (طارت)، وهي استعارة تصريحية، إذا استعار الطيــران للعدو السريع وقد فات هذا الاحتراس امرأ القيس في وصف الفرس أيضاً:

**فللسوط ألهــوب وللســاق درة وللزجر منه وقع أخرج مهذب**[١]

(١) الطراز ص ٥١٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

## خاتمة الدراسة

إذا كان البلاغيون قد وقفوا بالاحتراس عند حدود رفع الإيهام، فإن البحث لا يرى الغرض من الاحتراس يتوقف على هذه الغاية وحدها، بل يمتد ليخدم المعنى تتميماً وتكميلاً، وإذا وضعنا في الاعتبار المعنى اللغوي، فإنه يؤازر الباحثة فيما ترجو أن تصل إليه من مقاصد فكرية، تجعل من الاحتراس صورة عميقة وفاعلة في تحليل النص، وفي نفس الوقت تقضي على تلك التفريعات والتقسيمات التي ترهق البحث البلاغي من غير طائل، وتطغى على جانب التذوق واستظهار القيم الفنية التي تكون في خدمة البلاغة الوظيفية، وهي حاجة البلاغيين الماسة في عصرنا الحاضر، وقد ارتفعت فيه أصوات تسخر من بلاغتنا حيناً، وترميها بالجمود وعدم الجدوى أحياناً.

والاحتراس أعم من أن يحصر في صورة ضيقة من صور الإطناب، بل هو يدخل في أبواب كثيرة، معظمها يتصل بفن القول وصنعة البيان، وأغراض الشعر، من مدح ورثاء، وغزل ونسيب ووصف وتصوير.

وجل ما أخذه النقاد على الشعراء في براعة الاستهلال، يرجع إلى فاعلية الاحتراس، ومدى حضوره أو غيابه في ذهنية المبدع، فالشاعر المجيد هو الذي يجيد الاحتراس في إبانته عن الغرض، وخاصة في مطالع القصائد مما يتعلق بالمدح والتهنئة.

وصنعة الشعر تقتضى الاحتراس في بناء القصيدة وطريقة تشكيلها ومنهج التخلص والخروج والقران بين الأبيات حتى تكون جسداً تاماً، وبنياناً محكماً، ونسجاً واحداً.

ومآخذ النقاد على الشعراء في فنون القول المختلفة من وصف ونسيب وغزل وتشبيب ورثاء، مرجعها في الحقيقة إلى الاحتراس، الذي يعنى

بالضرورة حفظ المعنى والتوقى له في كل بعد من أبعاده... وهكذا يصبح موضوع الاحتراس باباً فاعلاً من أبواب القول، وصورة حقيقية من صور الإبداع تجمع بين أصول النقد وصناعة البيان.

ومما توصلت إليه الدراسة كذلك أن الاحتراس يتقاطع مع كثير من فنون البلاغة، كالإبداع، والاستطراد، والاستقصاء، وغير ذلك مما يدركه المشتغلون في العلم.

وإذا أرادت الباحثة أن تضع تصوراً للاحتراس، فإنه يتسنى له القول بأن الاحتراس هو قطب الرحى الذي تدور عليه المعاني.

وهذا يكون التتميم، والتكميل، والتذييل والإيغال، والاعتراض، والاستقصاء، والترقي، والإدماج، والمبالغة، وغير ذلك، من الفنون التي تتصل بحراسة المعنى وحفظه والتوقى له من صميم صنعة الاحتراس، وهي جميعها تندرج تحت الأصل الكبير، وإن شئت التصوير بالمحسوس المشاهد، فإن الاحتراس يمثل الشجرة في أصولها، وهذه المصطلحات الكثيرة تمثل الفروع.

ومما ينبغي أن يلفت إليه الباحث، أن الاحتراس لا يكون في الإطناب فقط، بل يكون في الإيجاز كذلك، لأن المعنى كما يكون في الإطناب يكون في الإيجاز من غير فرق.

وعلى كل حال، يلاحظ أن البلاغيين قد ذكروا الاحتراس في باب الإطناب تارة، وفي المحسنات المعنوية تارة أخرى، مما يقضي ببلاغته وقيمته الوظيفية في خدمة المعنى وما يتعلق بالأمور المعنوية "أكثر دوراً وأعظم إعجاباً في البلاغة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

## المصادر والمراجع

١- أساس البلاغة للزمخشري، دار الفكر.
٢- الإشارات والتنبيهات للجرجاني ت د/ عبد القادر حسين.
٣- الأطول للعصام ت د/ عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية.
٤- إعجاز القرآن للباقلاني ت/ أبو بكر عبد الرازق، مكتبة مصر.
٥- الإيضاح للقزويني بالبغية للشيخ الصعيدي. مكتبة الآداب.
٦- بديع القرآن لابن أبي الصبع المصري ت د/ خفني شرف، نهضة مصر.
٧- البديع في البديع لابن منقذ ت/ عبداً- على مهناً، العلمية.
٨- البديع لابن المعتز ت د/ خفاجي، دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٩- البلاغة الاصطلاحية د/ عبده قلقيلة، دار الفكر العربي، ط٤، ٢٠٠١م.
١٠- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ت/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة.
١١- البلاغة عند الجاحظ د/ أحمد مطلوب، منشورات وزارة الثقافة العراق، ١٩٨٣م.
١٢- البلاغة فنونها وأفنانها د/ فضل عباس، دار الفرقان، ط٥، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٠م.
١٣- البيان والتبيين للجاحظ ت/ عبد السلام هارون، دار الجليل.
١٤- التبيان في البيان للطيبي ت د/ زموط، دار الجيل، ١٩٩٦م.
١٥- التخليص للقزويني ت البرقوقي، ط١، ١٩٩٤م دار الفكر العربي.
١٦- التعريفات. لعلي بن محمد الجرجاني ت/ الإبيارى، دار الريان للتراث.
١٧- تقرير العلامة الإنبابي على تحرير البنانى، مكتبة صبيح، ط١، ١٣٤٧هـ.

١٨- جوهر الكنز لنجم الدين الحلبي ت د/ زغلول سلام، منشأة المعارف.
١٩- حاشية حسن الجلبي على المطول، دار الذخائر قم.
٢٠- الحيوان للجاحظ ت/ عبد السلام هارون، دار الجيل، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٢١- خزانة الأدب للحموي، ت/ عصام شعيتو، العلمية.
٢٢- الخصائص لابن جنى ت/ محمد علي النجار، ط٤، ١٩٩٩، الهيئة العامة للكتاب.
٢٣- ديوان ابن المعتز دار صادر، بيروت.
٢٤- روضة الفصاحة للرازي ت د/ النادي شعلة، دار الطباعة المحمدية، ط١ ١٤٠٢هـ.
٢٥- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ/ ٢٩٨٢م
٢٦- شرح التلخيص للبابرتي ت د/ صوفيه، ط١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٨٣م. المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس.
٢٧- شرح العلامة المرشدي على عقود الجمان للسيوطي، ط٢، ١٩٥٥م، الحلبي.
٢٨- شرح الكافية البديعية، الحلى ت د/ نسيب نشاوى، دار صادر.
٢٩- الصحاح للرازي، دار الدعوة.
٣٠- صناعة الكتاب لأبي جعفر النحاس، ت د/ بدر أحمد ضيف، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م دار العلوم العربية.
٣١- الصناعتين للعسكري. ت د/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية.
٣٢- الصنيع البديع لابن زاكور الفاسي ت د/ بشرى البداوي، المغرب.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣٣- الطراز للعلوي ت/ محمد عبد السلام شاهين، الكتب العلمية.
٣٤- عروس الأفراح للسبكي ت د/خليل إبراهيم، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م العلمية.
٣٥- العمدة لابن رشيق ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٣٦- قدامه بن جعفر والنقد الأدبي د/ طبانه، ط٣، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م الأنجلو المصرية.
٣٧- قواعد الشعر لثعلب، ت د/ خفاجي، دار الجيل، ط١، ٢٠٠٥م/ ١٤٢٦هـ.
٣٨- القول البديع في علم البديع لابن يوسف الحنبلي ت د/ محمد الصامل.
٣٩- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، دار الكتب العلمية ط١، ١٩٩٨م.
٤٠- الكشاف للزمخشري، دار الفكر.
٤١- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكتاب، ضياء الدين بن الأثير، ت د/ النبوي شعلان، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م الزهراء الإعلام العربي.
٤٢- اللسان لابن منظور، دار الحديث.
٤٣- اللمعة في صناعة الشعر، لأبي البركات الأنباري، ت د/ صلاح الدين الهادي، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. إصدارات نادي المدينة الأدبي.
٤٤- المثل السائر لضياء الدين بن الأثير، تعليق/ الحوفى وطبانه، نهضة مصر.
٤٥- المصباح لبدر الدين بن مالك ت د/ حسني عبد الجليل، مكتبة الآداب.
٤٦- مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي، محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٩٥م.

٤٧- المطول للتفتازاني، المكتبة الأزهرية.
٤٨- معترك الأقران للسيوطي. ت/أحمد شمس الدين، العلمية.
٤٩- معجم البلاغة العربية د/طبانة، دار ابن حزم، ط٤، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٥٠- معجم المصطلحات البلاغية د/ مطلوب، منشورات وزارة الثقافة، العراق، ١٩٨٣م.
٥١- معيار النظار للزنجانى، ت د/ محمد علي رزق، دار المعارف.
٥٢- المعيار في نقد الأشعار لأبي عبد الله جمال الدين الأندلسي ت د/عبد الله محمد سليمان هنداوي، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م مطبعة الأمانة.
٥٣- مفاتيح العلوم للخوارزمي ت/ قان قلوتن. للذخائر.
٥٤- مفتاح العلوم للسكاكي ت/ نعيم زرزور. الكتب العملية.
٥٥- المفردات للراغب الأصفهاني، ت ضبط/ محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.
٥٦- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، للسجماسي، ت/ علا الغازي، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م مكتبة المعارف الرباط.
٥٧- المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي لابن وكيع ت د/ محمد الدايه، دار ابن قتيبة- دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٥٨- مواد البيان علي بن خلف الكتاب ت د/حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح ١٩٨٢م.
٥٩- الموازنة للآمدي ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية.
٦٠- مواهب الفتاح للمغربي، العلمية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٦١- الموشح للمرزباني، ت/ محمد حسين شمس الدين، ط١٤١٥، ١هـ، ١٩٩٥م. دار الكتب العلمية.
٦٢- نضرة الإغريض لمظفر العلوي ت د. نهى عارف، دار صادر.
٦٣- نقد الشعر لقدامه بن جعفر، ت د/ خفاجي، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٦٤- نهاية الإيجاز تح/ نصر الله حاجي، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م دار صادر.
٦٥- الوساطة للقاضي الجرجاني ت/ هشام الشاذلي، ط الحلبي.
٦٦- الوسيلة الأدبية للمرصفى ت د/ عبد العزيز الدسوقي الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩١م.

# فهرس الموضوعات


| م | الموضوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١- | ملخص | ١٢٣٧١ |
| ٢- | Abstract | ١٢٣٧٢ |
| ٣- | مقدمة | ١٢٣٧٣ |
| ٤- | المبحث الأول: تحرير المصطلح في كتاب اللغة، والصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي. | ١٢٣٧٦ |
| ٥- | المبحث الثاني: موقع الاحتراس في الدرس البلاغي | ١٢٣٧٩ |
| ٦- | المبحث الثالث: مصطلح الاحتراس حتى نهاية القرن الخامس الهجري. | ١٢٣٨٢ |
| ٧- | المبحث الرابع: مصطلح الاحتراس في مدرسة المتأخرين. | ١٢٣٩٥ |
| ٨- | المبحث الخامس: مصطلح الاحتراس في الدرس البلاغي المعاصر. | ١٢٤١٧ |
| ٩- | المبحث الأخير: صور الاحتراس والقيمة الوظيفية. | ١٢٤١٨ |
| ١٠- | خاتمة الدراسة | ١٢٤٢٨ |
| ١١- | المصادر والمراجع | ١٢٤٣٠ |
| ١٢- | فهرس الموضوعات | ١٢٤٣٥ |


تم بحمد الله